المجاز والسرد، وهي لعبة متجذرة في صميم الفعل اللغوي والأسطوري. ففي الميثولوجيا الإغريقية سلك الرجل حيلاً متنوعة ومبتكرة للدخول إلى المرأة مثل حكاية زيوس مع ليدا حيث تمثل لها على صورة بجعة كي يقتحم عفتها، ولزيوس حكايات كثيرة مع الفتيات الجميلات، فهو يتسلل إليهن عبر شلال من الماء المذهب أو يتجسد على صورة ثور أنيق أليف يمد صهوة ظهره للحسناء فإذا ركبت عليه فر بها إلى حيث يخلو بها ويستخلصها لنفسه[1] وها هو ظهر الثور وجسد البجعة وشلال الماء تأتي في الأسطورة الإغريقية على أنها حيل مارس الرجل بها لعبته المجازية من أجل اصطياد المرأة وإيقاعها في حبائله.

وفي المخيال العربي انتقلت المرأة نقلة نوعية ـ بعد أن كانت مادة لمثل تلك الحيل ـ وذلك في حكاية شهرزاد مع رجلها. وهو رجل تعلم أن يدخل على المرأة بالموت فيقتل كل فتاة يدخل بها إلى أن خلت المدينة من العذارى، وصار الوزير يجوب الديار مهموماً ووجلاً يبحث عن عذراء ينام معها سيده شهريار ليفتض جسدها ويقتلها بعد ذلك. ولكن الله قيض شهرزاد ابنة الوزير ذاته لتتولى تخليص النساء من هذه البلوى الذكورية.

جاءت شهرزاد... لتقاوم الرجل بسلاح اللغة، فحولته إلى (مستمع) وهي (مبدعة)، وأدخلته في لعبة المجاز وشبكته في نص مفتوح، نص تقوم الحبكة فيه على الانتشار والتداخل والتبدل والتنوع. وتاه الرجل في هذا السحر الجديد (وإن من البيان لسحرا)[2].

قامت هذه اللعبة المجازية على تدجين المتوحش، وذلك بإخضاع

---

(1) انظر: New Larousse Encyclopedia of mythology, Hamlyn, London 1974 (p.105)

(2) هذا أثر مروي عن الرسول (ص)، انظر الجرجاني: دلائل الإعجاز 13, 37 د: محمد عبده، دار المعارف، بيروت 1978.